Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 21 | Issue 2 Article 5

2020

Pathways of Herminutical Evolution in Modern Western Thought

أوريدة عبود
جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر, abboudourida@yahoo.fr

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arabic Language and Literature Commons, Arabic Studies Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

2020) أوريدة ,عبود) "Pathways of Herminutical Evolution in Modern Western Thought," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 21 : Iss. 2 , Article 5.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, dr_ahmad@aaru.edu.jo.

Pathways of Herminutical Evolution in Modern Western Thought

Cover Page Footnote

جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2020. أستاذ محاضر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر. Email: abboudourida@yahoo.fr

This article is available in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات:
https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 21 العدد 2، 2020، ص ص 509- 530

مسارات تطور الهيرمينوطيقا في الفكر الغربي الحديث

أوريدة عبود*

تاريخ الاستلام: 2019/11/16 تاريخ القبول: 2020/3/29

ملخص

يروم هذا البحث إضاءة مصطلح الهيرمينوطيقا الذي كان وثيق الصلة بالتأويل في الفكر الغربي، كما يروم إبراز أهم مسارات تطوره، بدأت مع "شلايرماخر" الذي أكّد أنّ الهيرمبنوطيقا طريقة للكشف عن بنية النصوص الداخلية الوصفية ووظيفتها المعرفية والبحث عن الحقائق المضمرة فيها.ليأتي "دلتلي" ويقترح علما للتأويل يكون أساسا لتفسير كل أشكال الكتابة في العلوم الإنسانية بناء على منهجية تنتقل بالفهم من النصوص الخاصة المحددة إلى تأويل كل النصوص. في حين يرى هيدغر أن الهيرمينوطيقا لم تعد منهجا لتكوين معرفة موضوعية،بل صارت منهجا لتعميق الوجود استنادا إلى عنصر الفهم باعتباره مؤسسا للوجود الإنساني للمعرفة،الذي يحمل تأويله الخاص،لأن الفهم طريقة في الوجود قبل أن يكون طريقة في المعرفة.

أما "غادمير" فإن نظريته التأويلية تتأسس على افتراض مفاده أن التاريخ يشكل استمرارا لا ينقطع،استمرارا خاليا من الانقطاع والنفي،فهي نظرية تفترض أن العمل المنتمي إلى الماضي يعمق فهمنا الذاتي الحالي.ليأتي "بول ريكور" ويربط مفهوم الهيرمينوطيقا بعمق الكتابة كونها فعلا وجوديا،فهو يرى ضرورة ربط النص بسياقاته التاريخية والنفسية، ذلك أن النص ليس موجها إلى مدى معين من القراء، إنما هو نوع من الموضوع اللازماني الذي قطع روابطه بالتطور التاريخي.

تشير النتائج المتوصل إليها إلى أن الهيرمينوطيقا هي نظرية تأويل النصوص، أو هي العلم الذي يبحث في آليات الفهم، وقد بدأت في الفكر الغربي الحديث مع القرن السابع عشر عندما انفصلت عن مجال فهم النصوص الدينية، لتصبح علما مستقلا بذاته يناقش عمليات الفهم وآليات التأويل، بيد أن الهيرمينوطيقا مفهوما وفلسفة تطورت بعد ذلك، حيث امتدت تطبيقاتها إلى دوائر أكثر اتساعا شملت حقول العلوم الإنسانية كالتاريخ والأنتروبولوجيا، والنقد الأدبي.

الكلمات المفتاحية: النص، الفهم، التفسير، التاريخ، القراءة.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2020.

* أستاذ محاضر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر. Email: abboudourida@yahoo.fr

Published by Arab Journals Platform, 2020

Pathways of Herminutical Evolution in Modern Western Thought

Abstract

This research aims to illuminate the term hermeneutics, which was closely related to interpretation in Western thought, as well as highlighting the most important paths of its development, starting with "Schleiermacher", which confirmed that the hermapnoteka is a way to reveal the structure of descriptive internal texts and their cognitive function and search for the facts contained therein. It is suggested that a note of interpretation be the basis for the interpretation of all forms of writing in the humanities based on a methodology that moves from understanding specific specific texts to interpretation of all texts. While Heidegger sees that the hermeneut is no longer a method for forming objective knowledge, but rather has become a method for deepening existence based on the element of understanding as a foundation For the human existence of knowledge, which bears its own interpretation, because comprehension is a method of existence before it is a method of knowledge.

As for Ghadamir, his exegetical theory is based on the assumption that history constitutes an uninterrupted continuation, a continuation devoid of interruption and negation, it is a theory that assumes that work belonging to the past deepens our current self-understanding. Let Paul Ricoeur come and link the concept of the hermeneut to the depth of writing being an existential reality He sees the necessity of linking the text to its historical and psychological contexts, because the text is not directed at a certain range of readers, but rather it is a kind of timeless subject that cuts its ties to historical development.

The results indicate that the hermeneutics is the theory of the interpretation of texts, or is the science that searches in the mechanisms of understanding, and it began in modern Western thought with the seventeenth century when it was separated from the field of understanding religious texts, to become a separate science in itself that discusses the processes of understanding and mechanisms of interpretation, however The hermeneutics is a concept and philosophy that subsequently evolved, as its applications extended to more extensive circles that included the fields of humanities such as history, anthropology, and literary criticism.

Keywords: text, understanding, interpretation, history, reading.

مقدمة:

من شأن المنعطفات التاريخية الكبرى التي تحدث في تاريخ الحضارات الإنسانية أن تساعد على تكوين قراءة جديدة تكون مرتبطة بهذه المنعطفات أو التحوّلات الكبرى، التي تقدّم رواية مغايرة للآفاق والانتظارات السابقة. وهذا بحكم ما تحتمله تلك التحوّلات من تصوّرات جديدة للعالم تمايز التصورات القديمة، وظهور أسئلة جديدة تعارض الأسئلة القديمة مع الأجوبة الجديدة المتطلبة. فالمعرفة الإنسانية - قديماً وحديثاً - تتطور بفضل تحاورها وتعالقها

المستمر، وأيضاً بفضل انتقال النظريات والمناهج والمعارف ورحلاتها من حضارة إلى أخرى ومن حقل إلى آخر.

فإذا كان التأويل مفهوما قديما قدم النصوص نفسها دينية أو لغوية،وقدم بدء محاولات تفسيرها وشرحها من خلال مجموعة من القواعد والمعايير التي يتبعها المفسر، فإن الهيرمينوطيقا هي نظرية تأويل النصوص، أو هي العلم الذي يبحث في آليات الفهم، وقد بدأت في الفكر الغربي الحديث مع القرن السابع عشر عندما انفصلت عن مجال فهم النصوص الدينية، لتصبح علما مستقلا بذاته يناقش عمليات الفهم وآليات التأويل، بيد أن الهيرمينوطيقا مفهوما وفلسفة تطورت بعد ذلك، حيث امتدت تطبيقاتها إلى دوائر أكثر اتساعا شملت حقول العلوم الإنسانية كالتاريخ والأنتروبولوجيا، والنقد الأدبي.

إشكالية البحث:

يطرح بحثنا جملة من الأسئلة مفادها:

- ماهي مراحل تطور الهيرمينوطيقا ومامميزات كل مرحلة؟
- هل تجاوزت الهيرمينوطيقا فعل التصور الكلاسيكي لفهم النصوص؟
- كيف انتقلت الهيرمينوطيقا من فهم الموجود إلى فهم الوجود؟
- ماهي الشروط التي تتحكم في ذلك؟

يسعى بحثنا إلى إضاءة مصطلح الهيرمينوطيقا الذي كان وثيق الصلة بالتأويل في الفكر الغربي،لنتتبع أهم محطاته بدءا بالنظرية التأويلية عند شلايرماخر انتهاء ببول ريكور.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبرازا محطات الهيرمينوطيقا التي بدأت في الفكر الغربي الحديث مع القرن السابع عشر عندما انفصلت عن مجال فهم النصوص الدينية، لتصبح علما مستقلا بذاته يناقش عمليات الفهم وآليات التأويل، بيد أن الهيرمينوطيقا مفهوما وفلسفة تطورت بعد ذلك، حيث امتدت تطبيقاتها إلى دوائر أكثر اتساعا شملت حقول العلوم الإنسانية كالتاريخ والأنتروبولوجيا، والنقد الأدبي.

منهجية البحث والأدوات المستخدمة:

يستعين هذا البحث بالمنهج التاريخي في تتبع أهم محطات الهيرمينوطيقا مع الاستعانة بإجراءات نظرية القراءة، ذلك أن الهيرمينوطيقا بحثت في آليات النص وتلقيه من خلال مجموعة

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 2, Art. 5

من الأطر الاجتماعية والثقافية والحضارية التي أنتجت النص، إذ لا معنى له إلا بواسطة القراءة. فالقراء الأكفاء هم الذين يمنحون النصوص معاني متجددة.

في المدلول العام للهيرمينوطيقا:

ارتبط مفهوم الهيرمينوطيقا Herméneutique بالثيولوجيا المسيحية La théologie chrétienne، التي تعني تأويل وفهم النصوص الدينية اللاهوتية، ويعود أصل هذا المصطلح إلى الكلمة اليونانية Hermé، وتعني التفسيروالتأويل في مدلولها العام، وهي مشتقة من كلمة "هرمس" التي تطلق على اسم إله إغريقي وهو رسول الآلهة الذي يفهم لغة الملء ويحقق عملية التواصل بين العالم الإلهي والعالم البشرى عبر نقل كلام الآلهة للبشر[1] يؤكد "هيدغر" الصلة الموجودة بين الهيرمينوطيقا وشخصية هرمس قائلا: "أنَّه ليس مجرد رسول بين البشر بعضهم ببعض، لأنَّ الرسالة التي يحملها هرمس ليست رسالة عادية، إنَّها تحمل الخبر الصاعق، والنبأ الجلل، التأويل في أسمى معانيه، هو أن تكون قادرا على فهم هذه الأنباء المقدورة، بل أنْ تؤول،هو أن تستمع أولا، وعندئذ تصبح أنت نفسك رسول الآلهة"[2].

إنَّ الأصل الإغريقي للهيرمينوطيقا تحدد بعملية الإفهام، ويتمثل ذلك في جعل عملية التواصل ممكنة عبر وسيط لغوي مفهوم وواضح، فالفعل اليوناني Hermeneia الذي يعني (تفسير وتأويل) رسما منذ البداية إطار المعنى الذي ستتخذه الهيرمينوطيقا فيما بعد، بحيث اقترنت بنصوص لاسييما النص المقدّس الذي صار حاضنة لبلورة هذا المصطلح، فصعوبة فهم النصوص الدينية في التوراة ثم في الإنجيل بعدها، دفع بالقدماء إلى تأويل هذه النصوص لتقريبها إلى الأذهان وكشف ما تخفيه وراءها لإزالة الهوة الموجودة بين هذا النص والقارئ، سواء كانت هذه الهوة تتعلق بالبعد الزمني (التاريخي) أي بين زمن كتابة النص وهذا القارئ، أو هوة تتعلق بصعوبة استنتاج معانيه المعقدة.

ثم توسعت الهيرمينوطيقا باعتبارها فنا للتأويل إلى التأويلية حيث أوجدت لها مجالا في النظرية الأدبية والنقدية المعاصرة، لتصبح علما لتأويل يهتم بتفسير النص أو كما قال غادمير حل إشكالية الفهم بحصر المعنى، ومحاولة الإحاطة به، بواسطة تقنية ما، فبمبادئ الهيرمينوطيقا توضح لنا الطرق إلى نظرية عامة في الفهم[3]، أو هي تفسير النصوص، وعلى حدٍّ تعبير "شلايرماخر" فإنَّها تعني فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم، لتصبح الهيرمينوطيقا حسب "ريكور" قول شيء ما بخصوص شيء ما،هو بالمعنى الكامل والبليغ لكلمة "تأويل"[4].

تبقى الدلالة العامة للهيرمينوطيقا توحي بتأويل النص ومحاولة فهمه، فهذا المصطلح وثيق الصلة بالنص، ويتخذ من اللغة مادة أولية يبني عليها وجوده وكينونته.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5

مراحل تطور الهيرمينوطيقا:

أ- الهيرمينوطيقا من المعنى إلى الفهم:

فريدريك شلايرماخر (1768-1834) Friedrich Schleiermacher

يعتبر "شلايرماخر"* أول من صاغ نظرية التأويل العام من خلال المحاضرات التي ألقاها 1819، بحيث تجاوزت نظريته التصور الكلاسيكي لفهم النصوص، فلم تعد مهمة الهيرمينوطيقا مقتصرة على الكشف عن المعاني الغامضة في النصوص المقدسة بل صارت محاولة للفهم(5).

حاولت نظرية "شلايرماخر" التأويلية إحداث مطابقة وتماه بين التأويل ومقولة الفهم، وعرَّفت الفهم "بأنَّه التعرّف على قصد الكاتب"(6)، ذلك أنَّ الهيرمينوطيقا طريقة للكشف عن بنية النصوص الداخلية الوصفية، ووظيفتها المعيارية والمعرفية والبحث عن الحقائق المضمرة فيها.

لهذا نجد أنَّ "شلاير ماخر" قد ميز في الممارسة التأويلية بين منهجين، منهج تأويل قواعد اللغة، ومنهج التأويل النفسي.فمنهج تأويل قواعد اللغة ويسميه أيضا التأويل النحوي l'interprétation Grammaticale يعالج النص من خلال لغته الخاصة (لغة إقليمية، تركيب نحوي، شكل أدبي) وتحديد الكلمات بناء على الجمل التي نركبها ودلالة هذه الجمل على ضوء النص في كليته وفقا للخصائص الذاتية في ثقافة ما. أما منهج التأويل النفسي l'interprétation psychologique فهو يعتمد على بيوغرافيا المؤلف وحياته الفكرية والعامة، وكذلك الحوافز التي دفعته للتعبير والكتابة، فهو يُموقع النص في سياق حياة المؤلف والسياق التاريخي الذي ينتمي إليه.

لقد انحصر التأويل في الكشف عن طبيعة مفردات النص وقواعده إلا أنَّ "شلايرماخر" حوّل الهيرمينوطيقا إلى منهج عام خاضع لقانون عام، لا يقتصر في تطبيقاته على النصوص المكتوبة بل يشمل حتى النصوص الشفوية، ولا على اللغات الأجنبية بل حتى على لغة الأم(7). وعلى هذا فإنَّ هذا المنهج يقوم على العلاقة بين الجزء والكل، وبين الفردية والكلية، وبين الذات والموضوع، ويعتمد على فرضية بسيطة مفادها أنَّ النص أو أي شكل تعبير آخر يعكس بالضرورة الروح العامة للثقافة(8).

صارت الهيرمينوطيقا بفضل "شلاير ماخر" شكلا من أشكال الالتقاء الثقافي، الذي ينتج هوية بين المؤلف والقارئ، بحيث يمكن التغلب على أي نقص في النصوص المكتوبة بالتواصل الذي يتجاوز البعد اللغوي بين الأشخاص، وهذا الأمر يجعل العلاقة بين المؤلف والقارئ وطيدة،

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 2, Art. 5

لهذا يعتبر القراءة فنا، وعلى القارئ أن يكون فنانا بنفس القدر الذي يكون عليه المؤلف باعتبار الكتابة والقراءة عملا إبداعيا.

لقد أشار "شلايرماخر" إلى فكرة أساسية في العملية التأويلية، هي أنّ ما يحصل بين النص والقارئ ينبع من قلقين: "أولهما القلق في أنْ نفهمِ وهو الذي لأجله نكتب، وثانيهما القلق في أن نَفْهَمَ وهو الذي لأجله نقرأ، ولأجل مواجهة القلق الثاني ينبغي على القارئ أن يتحلى خلال عملية القراءة بالحدس الفني"[(9)]، وبهذا فإنّ "شلاير ماخر" قد نقل الهيرمينوطيقا من دائرة الاستخدام اللاهوتي إلى دائرة العلم والفن،الذي يؤسس لعملية الفهم ومن ثم التفسير.

ب- التجربة الذاتية وتأسيس المعرفة:

ويلهلم ديلثي: WELHELM Dilthey (1833-1911)

اقترح "ديلثي"[**] علما للتأويل يقوم على تفسير كل أشكال الكتابة في العلوم الإنسانية، استنادا إلى منهجية تنتقل بالفهم من النصوص الخاصة والمحددة إلى تأويل كل النصوص، فلم تقتصر مهمة التفسير والتأويل على علماء اللاهوت، بل صارت تتضمن نقادا وفلاسفة وحتى علماء الاجتماع والأنتروبولوجية[(10)].

أخذت الهرمنيوطيقا مع "ديلثي" منعطفاً آخر بحيث سعى إلى إدخالها في مجال المعرفة التاريخية؛ فكان له بذلك قصب السبق في القيام بالتفرقة الشهيرة بين علوم الطبيعة وعلوم الفكر أو الروح، وبيان نوعية وخصوصية العلوم الإنسانية القائمة على (الفهم) في مقابل علوم الطبيعة القائمة على(الشرح) و(التفسير). فنظرية التأويل عند "ديلثي" تسعى إلى كسر وإزالة الحواجز بين مجالات العلوم الاجتماعية، وذلك بالاعتماد على نظام علمي مستقل بذاته، لا يخصص لمجال بعينه، بل يحتويها جميعا، أطلق على هذا النظام "علوم الروح"، التي تشترك في موضوع واحد هو دراسة العلوم الإنسانية.

تسعى نظرية التأويل عند "ديلثي" إلى كسر وإزالة الحواجز بين مجالات العلوم الاجتماعية، وذلك بالاعتماد على نظام علمي مستقل بذاته، لا يخصص لمجال بعينه، بل يحتويها جميعا، أطلق على هذا النظام "علوم الروح"، التي تشترك في موضوع واحد هو دراسة العلوم الإنسانية.

ولأنّ العلوم الإنسانية تدرس التجارب المعيشة، يرى "ديلثي" أنّ التجربة الذاتية هي أساس المعرفة، بل هي الشرط الذي لا يمكن تجاوزه لأي معرفة، وطالما أنّ هناك مشتركا بين البشر، فإنّ: "التجربة تغدو هي الأساس الصالح لإدراك الجانب الموضوعي القائم خارج الذات، وذلك

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5 6

بسبب التشابه بين ملامح التجربة الإنسانية، وهو ما يشير إليه ديلثي بإعادة اكتشاف "الأنا" في الأنت"[11].

وبناء على ذلك فإنَّ عملية التعبير سواء أكان مكتوبا أم سلوكا اجتماعيا تمثل الجانب الموضوعي للتجربة، لأنَّ هذه العملية قد تتحول من حالة الذاتية (التجربة الداخلية المعيشة) إلى حالة خارجية، فكأن المبدع لا يعبر عن تجربته الذاتية، وإنَّما يعبر عن تجربة الحياة في تجربة المبدع وأما التجربة فتتجسد من خلال وسط موضوعي هو اللغة.

استطاع "ديلثي" أن يمنح للهيرمينوطيقا بعدا جديدا تجاوز الفهم التاريخي الكلاسيكي، التي تمثل في توسيع فهم التجربة في العمل الأدبي، منتقلا بهذه التجربة من إطار الذاتية إلى إطار من الموضوعية عبر وسيط مهم هو اللغة، ومن خلال شيء مشترك بين المؤلف والمتلقي وهو تجربة الحياة.

وعلى هذا فإن الكلمة المركزية في الدراسات الإنسانية، كما يراها "ديلثي"، هي كلمة «الفهم» فإذا كان «التفسير» هو غاية العلوم، فإن المدخل الصحيح إلى الظواهر التي تضم الداخل والخارج هو

«الفهم»، وإذا كانت مهمة العلوم أن «تفسر» الطبيعة فإن مهمة الدراسات الإنسانية هي أن «تفهم» تعبيرات الحياة.» بوسع الفهم أن يحيط بالكيان المفرد بينما يتعين على العلم دائمًا ألا ينظر إلى «الفردي» إلا كوسيلة لبلوغ «الكلي» أو الوصول إلى «النمط»، ونحن في مجال الفنون بصفة خاصة نقدر «الجزئي» لذاته، ونتلبث بحبٍّ في تفهم الظاهرة في فردانيتها، هذا الشغف المستغرق في الحياة الداخلية الفردية يقف على نقيض أساسي من موقف العلوم الطبيعية وإجراءاتها.

ومهما يكن من شيء، فإن مشروع "ديلثي" لفهم الحياة وتعميق الجانب التاريخي للفهم ونقده الحاد للنزعة العلمية المتطرفة التي تسللت إلى الدراسات الإنسانية؛ كل ذلك قد لعب دورًا كبيرًا في الهرمنيوطيقا منذ دلتاي، ونحن نرى فكر دلتاي استباقًا لبعض الأهداف الأساسية للتأويل وافتتاحًا لبعض المشكلات الجوهرية للهرمنيوطيقا بوصفها مشكلات، وقد قُدِّر "لهيدجر" أن يؤسس على هذه الأهداف، ومن الجلي أنه رجع إلى "ديلثي" في محاولته لتجاوز الميول العلمية الراسخة في أستاذه إدموند هسرل.

يبدو أنَّ "ديلثي" تأثر بشكل واضح "بشلاير ماخر"، خاصة في تسميته علاقة الجزء بالكل باسم الدائرة الهيرمينوطيقية، التي نتمكن بواسطتها فهم معنى نص ما، حيث إنَّ معنى أي وحدة لسانية يتحدد بإدراكها للمعنى الكلي، فالخصائص الفردية قابلة للفهم في إطار السياق الشامل،

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 2, Art. 5

والسياق الشامل قابل للفهم من خلال الخصائص الفردية. فالدائرة التأويلية تنتقل من الفهم الكلي والشامل إلى فهم الأجزاء وعليه ينشأ تأويل شبه كلي يستند فيه الفهم الكلي للنص على فهم أجزائه.

لقد أخذ "ديلثي" عن شلايرماخر الجانب النفسي من الهرمنيوطيقا وحدد بأنّ مهمة المفسِّر تقوم على أساس فهم «تجربة الآخر» هذا "الآخر" قد يكون –نصا على سبيل المثال - وحينئذ يهدف فن التأويل إلى فهم وتفسير أفكار الآخرين عبر علاماتهم بحيث يحصل الفهم عندما تستيقظ التمثلات والإحساسات في نفسية القارئ وفقاً للنظام والعلاقة الكائنين في نفسية المؤلف.معنى هذا أنّ أي فعل وأي حركة إنما تكمن معالجتها من خلال رصد مقاصد المؤلف وإدراك المعنى الذي تنطوي عليه كتابته وأقواله.

ومن هذا المنطلق فإن المتلقي يصل إلى نتيجة مؤداها أنّ المعنى ليس ثابتا، وإنّما يقوم على مجموعة من العلاقات، بمعنى أنّ الفهم يتغير في متجدد اللحظات الزمنية، وهكذا تظل تدور في دائرة تأويلية كلما اكتسبنا تجارب جديدة وفق تطور الفهم وتغير الزمان والمكان.

ج- من فهم الموجود إلى فهم الوجود:

مارتين هيدغر: Heidegger (1889-1876)

إذا كان شلايرماخر قد ارتقى بالهرمينوطيقا إلى مرتبة الاستقلالية الابستيمولوجية، بجعلها فرع فلسفياً خاصاً يعني بكيفية فهم النصوص وتأويلها، فإن الفيلسوف "مارتن هيدغر" قد أدخلها في نطاق التقصي الفلسفي الوجودي ذاهبا إلى أن الفهم ليس مجرد بنية معرفية، وإنما يشكل واحدة من البنيات الأساسية للوجود.

صارت الهيرمينوطيقا عند "هيدغر"*** منهجا لتعميق الوجود الإنساني، وقد انطلق في تحليلاته للوجود الإنساني من الحياة اليومية أو الموقف الطبيعي الذي نحياه جميعا♦، ويرى أنّ عنصر الفهم هو الذي يؤسس للوجود الإنساني، لأن الفهم طريقة في الوجود قبل أن يكون طريقة في المعرفة، فالإنسان هو وحده من بين سائر الموجودات القادر على التساؤل حول وجوده، ومن ثمة هو الوحيد القادر على الفهم، فلا يكفي أن نقول عنه إنه يكون وحسب، بل ينبغي أن ننتبه دائما إلى أنّه هو الموجود الذي يهتم بوجوده[12].

فالإنسان عند "هيدغر" يحيا في حال من الفهم للوجود يسميها "الدازين" Dasein، أي الفهم الأنطولوجي للوجود[13]، هذا الفهم ليس مجرد معرفة نظرية، وإنما هو نحو من أنحاء الوجود، إنّه هو ذاته الوجود، وعلى هذا الأساس يقيم "هيدغر" هيرمينوطيقا للوجود الإنساني

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5 8

المتصلة بالأبعاد الأنطولوجية للفهم، من خلال وسيط هو اللغة، فاللغة ليست مجرد أداة يملكها الإنسان إلى جانب غيرها من الأدوات، إنّما هي ما يضمن إمكان ظهور الوجود بعد أن كان مستقرا، إنّها الوجود للعالم[14].

تحولت الهيرمينوطيقا عند"هيدغر"من حقيقة التواصل إلى حقيقة الاكتشاف، فتحول بذلك موضوع الفهم من اللغة: "إلى ما وراء اللغة، ومن علاقة التواصل الخطية إلى فضاء أعمق، يخرج بالدلالة من ثنائية الدال والمدلول إلى مدلول الدال، ومدلول المدلول ليصبح التفكير في معنى الوجود هو ما يشغل الإنسان"[15].

و بناء على ذلك فإن فهم نص لا يتطلب البحث عن المعنى الذي وضعه المؤلف في النص، بل يتطلب الكشف عن إمكانية الوجود التي يشير إليها النص، وكل فهم للوجود لا بد أن ينطلق من مجموعة الافتراضات والمقولات القبلية التي تشكل أفق الفهم على حدّ تعبير "هيدغر"، فكل فهم، ومن ثم كل تأويل لا بد أن ينطلق من بناء مسبق، يحدد الأفق الذي تتجه نحوه عملية الفهم[16]، وقد أكدّ "غادمير" أنّ مفهوم العالم كان منذ البداية أحد المفهومات التأويلية الرئيسية لدى "هيدغر"[17].

واستنادا إلى ذلك ينبغي أن أشير هنا إلى أن الفهم حسب "هيدغر" عبارة عن ظاهرة وجودية تسمى الإنسان، والنص الأدبي لا يدل على موقف المبدع إنما يدل على ذلك الوجود في إطاره الفلسفي، وكأن الفلسفة والفن يصيران شيئا واحدا. ومن هنا يذهب هيدغر إلى أن وجود الإنسان في العالم –وجودنا نحن بما فيه من تحيزات وافتراضات مسبقة-، هو ما يجعل الفهم ممكنا.

د- أبجدية الفهم والتفسير:

الهيرمينوطيقا عند هانس جورج غاديمير: Hans Georg Gadamer ****

عمّق "غادمير"ما جاء به "هيدغر" في عملية الفهم، لكن اهتمامه كان منصبا على العمل الفني L'œuvre d'art، فهو يرفض أن يجعله مجرد موضوع لمعرفة وقائعية Connaissance factuelle دون مراعاة لمصطلح الحوار، الذي يقيمه الإنسان مع العالم، لأنّ العلاقة بين الإنسان والعمل الفني هي علاقة حوار بالدرجة الأولى،على الرغم من أن تاريخية أو زمانية النص أو العمل تختلف عن تاريخية وعينا بسبب وجود المسافة الزمنية الفاصلة بينهما، وفهمنا للعمل الفني يعني أننا نؤول معنى ماضينا في ضوء تجربتنا الحاضرة.

يرى "غادمير" أنّه لا ينبغي أن نتحلل من تقاليدنا وتراثنا وأفكارنا المسبقة، لأنها بداخلنا وتعمل عملها فينا[18]، ذلك أن هذه الأفكار المسبقة ما هي إلا شروط وإمكانات للفهم والتأويل،

وهي التي تجعل باب التأويل ممكنا: "لأنّ التأويل الذي نمارسه إزاء التراث يرتبط بالسؤال الذي نطرحه – أي مشكلاتنا الخاصة- وإمكانية أن يقدم النص المقروء إجابة عن هذه المشكلات"[19]. وحتى يتحقق هذا الأمر ينبغي على القارئ أن يسعى إلى فهم التاريخ كي يتمكن من إدراك حقائق الماضي الضاربة بجذورها في الأعماق، وعناصر الحاضر التي تتسرب إليه، وهذا قصد تشكيل وعي جديد استنادا إلى فكر نقدي قائم على الغربلة والتقويض.

يؤكد "غادامير" أن ارتباط الانسان بحاضره وبأفقه التاريخي عبارة عن معطيات أولية للفهم وليس عوائق له ينبغي تجاوزها. إنها أحكامنا المسبقة التي لانقطعنا عن الماضي، وهي بمثابة نقاط ابتداء تفتحه لنا وتطلعنا عليه، إنها ممكناتنا الايجابية للفهم التاريخي إذا ما قورنت بمحدودية الإنسان.إن تاريخية وجودنا متضمنة لأحكامنا المسبقة، ذلك أن الحاضر يشكل الماضي بطرق لامتناهية؛ الماضي لدي غادامير يمتلك في طياته سابقة لظاهرة الفهم لطالما أفتقدت عند الفلاسفة ممن سيطروا على المشهد الفلسفي قبل هايدغر. لايمكن تحجيم دور الماضي وتحديده بوصفه عنصرا إضافيا على النصوص والأحداث التي تحتاج الي تفسير. إن مثل الماضي كمثل الحكم المسبق والتراث فكلاهما معطى أولى على الأرضية التي يقيم فيها المفسر حينما يمارس عملية الفهم.

وما ينبغي الإشارة إليه هو إن هذه الفكرة ترجع الي دعوى "الكانطيين الجدد" و"الحركة التاريخية" في أواخر القرن التاسع عشر التي أكدت علي تاريخية ونسبية كل التعبيرات الإنسانية التي وصلتنا من الماضي، لكنها وقفت عاجزة أمام معضلة تاريخية المفسر مع تاريخية الأشياء. فالفهم ليس إعادة تركيب فقط بقدر ما هو تأمل يتضمن الماضي في الحاضر. وفي كل المحاولات الجادة التي تصبو لعناق الماضي بذاته وبمعزل عن كل ما سواه يبقي الفهم ابتداء حالة تأمل وترجمة لماضي الزمن في الحاضر. وهكذا ينظر "غادامير" الي التاريخ بوصفه الاستمرارية التي تستوعب الفعل الموضوعي والأشياء؛ ويكون الفهم ذلك الحدث وتلك الحركة التاريخية التي ما اعتبرت النص ولا المفسر أجزاء قائمة بذاتها وتحكم نفسها. وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار الفهم بحد ذاته فعلا من نتاج الموضوعية، إنما هو ذلك المدخل للحدث التحولي الذي يجتمع فيه كلا من الماضي والحاضر تأمليا، وهذا -حسب غادامير- مانجد له مصداقا في النظرية التأويلية ونطاق الهيرمينوطيقا على وجه التحديد.

وبالعودة إلى آليات التأويل عند "غادمير" نجد أنه حددها في ثلاث دوائر هي: الدائرة الجمالية، الدائرة التاريخية، الدائرة اللغوية.

***- الدائرة الجمالية: (تتعلق بالأعمال الفنية):**

ترتبط هذه الآلية بحياة المبدع، الذي أخرج النص الأدبي إلى الوجود، فعلى القارئ أن يسترجع تجربة المبدع الأولى، ليتقمص حيثيات العصر الذي عاش فيه ويستقرئ معالمه وأحداثه، حتى يتمكن من اكتساب خبرة جمالية كافية، فتتشكل لديه ثقافة عن تلك الشخصية وعن العصر الذي عاش فيه كي يمنح التأويل بعدا أنطولوجيا.

هذه المرحلة من التأويل تدمج النص في مناخه الثقافي الخاص، انطلاقا من معرفة الأسس الجمالية والمرتكزات والقيم الفكرية التي تضم العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، وفضاء المعرفة والفكر والدين في عصر المنتج الأول. تعدُّ هذه المرحلة مرحلة تفسيرية لا تأويلية، لأنَّها تعتمد الشرح الظاهري أو السطحي، فلا يتعمق القارئ في معطيات النص، إنما يتعامل مع النص كوثيقة تاريخية يحاول إثبات صحتها على حدّ تعبير "تودوروف".

***- الدائرة التاريخية: (تتعلق التراث وما له صلة بالماضي):**

تتأسس نظرية "غادمير" التأويلية على فكرة مفادها أن التاريخ يشكل استمرارا لا ينقطع، استمرارا خاليا من الانقطاع والنفي، وخاليا كذلك من الصراع والتناقض، فالعمل المنتمي إلى الماضي يعمق فهمنا الذاتي الحالي. ثم إن التاريخ كذلك يحتاج إلى التفكيك والتشريح بغية إعادة الفهم، فغادمير يصبو إلى اختزال الذوات في ذات واحدة وإحداث التماهي بين الفواصل والحدود، ولا يتحقق ذلك إلاّ من حلال أدبيات الحوار بين القارئ والعناصر التاريخية، والهدف من كل ذلك تفعيل التراث الإنساني في حياة الكائن.

لا يقصد "غادمير" في ممارسته التأويلية تمثيل تاريخ خاص، بل تمثيل تاريخ عام وكلي قصد تجديد تاريخية الأدب والإعلاء من قيمته الجمالية والإنسانية. يتحول التاريخ عند "غادمير" إلى ذات تبادل تفرض علينا كينونتها وتظهر ثراءها وتميزها، ذلك أن تاريخ الأدب باعتباره تراثا كونيا يستحق الفهم في ضوء رؤى ومفاهيم حداثية.

***- الدائرة اللغوية: (جسر واصل بين الدائرتين يتعلق بالدلالة والمعاني)**

تقوم الدائرة اللغوية –كونها دائرة التأويل بامتياز- بمهمة احتواء وعبور الدائرتين الجمالية والتاريخية، لأن أهم المفاهيم المشكلة لهيرمينوطيقا "غادمير" كالفهم والحوار والوعي بتاريخ الفعالية تجد تحققها الفعلي والملموس في العنصر اللغوي، فاللغة حسب "غادمير" تمثل الوسط الكلي الذي تجري فيه عملية الفهم بذاتها، والتأويل هو نمط اشتغال تلك العملية[20].

إنّ الهيرمينوطيقا عند "غادمير" تقوم على فن الفهم انطلاقا من اللغة، كونها وطنا للفهم بعيدا عن ضيق التقنية العلمية أي مسرح الوجود، وكل معرفة بهذا الوجود إنما تؤدي إلى إعادة فهمنا للغة نفسها، ذلك أن الإنسان يتحول من كائنه الإنساني إلى كائنه الإبداعي بواسطة اللغة، فالوجود كل الوجود ينحصر داخل اللغة. فاللغة: "هي النمط الأساسي لاكتمال وجودنا في العالم والشكل الذي ينطوي على شمولية تأسيس وتشكيل العالم"[21].

والحق أن اللغة تتحكم في سلوك الإنسان وتحدد نمط تفكيره ومضمون وعيه، وتُنَمي ملكة الفهم لديه، وإن الطابع اللغوي يغمر التجربة الإنسانية في العالم ويحول المشكل الفلسفي الهيرمينوطيقي إلى ممارسة تأويلية كونية لمجمل الإنتاج البشري عبر التاريخ والرموز والثقافات المتنوعة.

هـ- نحو علم تفسير النصوص:

بول ريكور:*** **PAUL RICOUR (2005-1913)**

ربط "بول ريكور" مفهوم التأويل بعمق الكتابة باعتبارها فعلا وجوديا، إذ: "بقدر ما تكون التأويلية تأويلا موجها نحو النص، بقدر ما تكون النصوص من بين أشياء أخرى حالات من اللغة المكتوبة، فما من نظرية تأويل ممكنة لا تشتبك مع مشكلة الكتابة"[22]، وهو يفترض أن: "ما يحدث في الكتابة هو التجلي الكامل لشيء ما، هو في حالته الافتراضية شيء وليد، شيء في الكلام الحي، ألا وهو فصل المعنى عن الواقعة، لكن هذا الفصل لا يرمي إلى إلغاء البنية الأساسية للخطاب...حيث يظلّ الاستقلال الدلالي محكوما بجدل الواقعة والمعنى، أضف إلى ذلك أنّه بإمكان القول أن هذا الجدل يتضح ويتجلى في الكتابة"[23].

يرى "ريكور" ضرورة الإيغال في ربط النص بسياقاته التاريخية والنفسية والاجتماعية ذلك أن النص ليس موجها فقط إلى مدى معين من القراء، إنما هو: "نوع من الموضوع اللازماني، الذي قطع روابطه بالتطور التاريخي بمجمله، ويتضمن تناول الكتابة تغلبا على العملية التاريخية، وانتقال الخطاب إلى عالم المثالية، التي تسمح بتوسيع لانهائي لعالم الاتصال[24].

يذهب "ريكور" إلى أن النص مجرد رموز وإشارات ميتة، القارئ وحده هو من يملك القدرة على إحيائها وبعثها للوجود، أما وظيفة المؤلف فتنحصر في الكتابة وإخراج النص إلى عالم التلقي، فالهيرمينوطيقا عند "ريكور" تفترض وجود معنى ظاهر، ومعنى باطن في كل نص: "فالتأويل هو عمل الفكر الذي يتكون من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر، الذي يقوم على

نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي. وهكذا يصبح الرمز والتأويل متصورين متعالقين، فلن يكون ثمة تأويل دون تعدد المعنى الذي يسلم فيه الرمز"[25].

يقدم لنا "ريكور" مثالا حتى نفهم النص أكثر،مثالا حول الرمزية عند فرويد،ذلك أن المرموز له لا يظهر في إطار لغوي بل في إطار لا لغوي –ما يعبر عنه فرويد بالغريزة- وما يتبعها من رغبات وميول.هذه الأخيرة تعبر عن نفسها انطلاقا من وسائط كثيرة كالحلم مثلا.الحلم في ظاهره يعبر عن شيء وفي باطنه يعبر عن شيء آخر. يقوم الرمز بتفجير اللغة عوضا عن انكفائها على ذاتها، وهذا التفجير إبلاغ، والإبلاغ كشف الأمر الذي يحقق صراعا بين التأويلات المتضاربة، لا على ثنائية الدلالة.

يذهب بول ريكور في كتابه «رمزية الشر» Symbolism of Evil إلى أن الشر لا يُوصف حرفيًا على الاطلاق وإنما يتحدث عنه دائمًا على نحوٍ رمزي أو استعاري. فيقال مثلًا: وصمة، وزر، ضلال (زيغ)، غواية، انحراف ... إلخ. يبين ريكور أهمية الرموز والمعنى المزدوج للألفاظ ومناهج تأويلها. ويقول إن أساطير الخلق والتكوين وأصل العالم هي تفسيرات من الدرجة الأولى لمنشأ الشر في العالم، وقد أفضى به اهتمامه برمزية الشر إلى الاهتمام باللغة الرمزية وبالتأويل بصفة عامة، ثم إنه وسع من نطاق الرموز لتشمل رموز الحلم والرموز الثقافية، ومد نطاق التأويل ليشمل جميع تقنيات التحليل النفسي الفرويدي.

وبالعودة إلى كتابه «عن التأويل: مقالات عن فرويد»نجد أن ريكور يرى أن اللغة هي ملتقى جميع المداخل الفلسفية، ويبدي اهتمامًا عامًا «بالفلسفة التحليلية» و«فلسفة اللغة العادية». لقد كان شغل فرويد الشاغل من وراء أعماله هو وضع «سيمانطيقا» (علم دلالة) للرغبة.كيف تكشف الرغبات عن نفسها في الكلام؟ كيف يتم التعبير عنها؟ وكيف يفشل الكلام في التعبير عنها؟ هذه الصلة بين الرغبة والمعنى هي ما يمنح التحليل النفسي مكانًا بارزًا في أية فلسفة للغة، وخلال هذا الكتاب يؤسس فرويد جدلًا بين اللغة الرمزية التي هي تحريف أو قناع أو تعزيز للوهم وبين اللغة الرمزية التي يمكن أن تكون وحيًا للقدسي أو المقدس.

ومهما يكن فإن الممارسة التأويلية عند "ريكور" تقوم على ثلاثة أسس وهي:

- الفهم: هو الوجود الإنساني المتوسّط رمزيا الذي لا يمكن تخيله، دون شبكة التوسطات الرمزية المتمثلة في التراث والتقاليد والقيم الثقافية العابرة للأجيال.
- التفسير: هو الفعالية التأملية التي تسعى إلى الارتفاع عن مستوى الفهم بواسطة العقل والمنطق والفكر.

- إعادة التصور: أساس يبدأ بعد أن يخرج القارئ من النص، فالقراءة فعالية تكوينية وتأسيسية تهدف إلى وصف متكامل للعملية الإبداعية.

فالفهم كمرحلة أولى للعملية التأويلية تضع النص في سياقه التاريخي والفكري، ليأتي التفسير كمرحلة ثانية، يبرر فيها المؤول ما ذهب إليه من أراء بالاعتماد على شبكة العلاقات الداخلية للنص، وتأتي المرحلة الثالثة (ليقدم فيها المؤول المعاني الجديدة في صورتها النهائية لتضاف إلى المعاني المكتشفة للنص).

على سبيل المقارنة:

لقد ظل الفكر الغربي طيلة قرون من الزمن مفتوناً إلى حد بعيد بثوابت كثيرة لعل أهمها أسطورة الموضوعية القائمة على أساس المعنى الواحد، المعنى المطلق .وتوالت المناهج الواحدة تلوى الأخرى وكلها لا ترى إلا المعنى المثبت في النص من قِبل المؤلف .وكما أن لكل فعل ردّ فعل يقابله. فقد حيكت الكثير من التساؤلات حول جدوى هذه المناهج التي أصبحت موضع نقد داخلي وخارجي، ذلك أنّ الظواهر الإنسانية -بما فيها الظواهر الأدبية -تمتاز بالتشابك والتعقيد على عدة مستويات: مستوى طبيعة الموضوع، مستوى الباحث فأنّى لنا والحالة هذه أن نتحدث عن الفهم القارّ والثابت؟ أنّى لنا أن نتحدث عن اكتمال التأويل.

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنّه ثمة لكلّ نص قراءة ولكلّ عمل تأويل، ذلك أنّ النصوص الجيّدة تظل أبداً مشروعاً قائماً للقراءة وبالتالي للكتابة، والذي يحدد مصداقية هذه النصوص هو الزاوية التي يُقرأ بها ومنها، وهذا يعني ضمنياً أن ليس هناك مفهوم واحد للقراءة ولا طريقة واحدة للتأويل، والشيء الوحيد الذي يجدر الانتباه إلى تطوره وتحوّله وانبجاسه هو مسألة المعنى .هذه المسألة المطروحة على الفكر البشري هي واحدة من أهم المسائل الجوهرية على الإطلاق. فمن بحث الإنسان "معنىً لوجوده " إلى البحث عن "معنى الوجود" من حوله.

يبدو أن هدف الهيرمينوطيقا هو تجاوز أزمة المعنى التي يعاني منها الإنسان في إقامة تأويل على أسس صحيحة،بالتركيز على تعدد القراءات بدل القراءة الواحدة،من أجل الوصول إلى المعنى العميق والخفي بدل المعنى السطحي،الأمر الذي جعل المفكرين الغربيين يختلفون في منظوراتهم للهيرمينوطيقا.

ارتقى "شلايرماخر" بالهيرمينوطيقا إلى مرتبة الاستقلالية الابستمولوجية، حاول أن يجعل منها فناً مستقلاً يقوم على قواعد وضوابط محددة، فقد انطلق من قاعدة أنّ "الفهم" المثالي لا يتأتى إلا بالانطلاق من منهجين متوازيين: المنهج الوضعي اللغوي، والمنهج النفسي، لأنّ القارئ أو المؤول لا يغوص على مراد النص إلا بمَلَكَة لغوية ثريّة، وقدرة على استبطان النفوس البشرية،

وهذا التكامل المنهجي المشروط يتناغم ومنظور شلايرماخر إلى اللغة التي تعدّ متنفّساً للفكر والوجدان والخاطر جميعاً، إنها بعبارة أدق وأحكم تشكيل لغوي ووجداني مستقل عن فكر المؤلف، وهذا الاستقلال ييسّر عملية الفهم، برفد من عامل آخر وهو تواطؤ المخاطَب والمخاطِب على تشكيل هويّة اللغة.

لقد كان مطمح شلايرماخر هو تجاوز حالة "سوء الفهم" التي يكون النص عرضة لها، على أنه ورغم النقلة الهامة للهيرمنيوطيقا على يد شلايرماخر لتكون (فناً) مستقلاً بذاته عن أي مجال؛ فإنّ كلاسيكيته تتبدى في حرصه على وضع قوانين ومعايير لعملية الفهم ومن ثمّ لعملية تفسير النصوص. ولكنه في هذه المحاولة لتجنب "سوء الفهم" يطالب المفسّر مهما كانت الهوّة التاريخية التي تفصل بينه وبين النص أن يتباعد عن ذاته وعن أفقه التاريخي الراهن ليفهم النص فهماً موضوعياً تاريخياً. إنّه يطالب المفسّر أولاً أن يساوي نفسه بالمؤلف، وأن يحل مكانه عن طريق إعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص، ورغم استحالة هذه المساواة من الوجهة المعرفية فإنّ شلايرماخر يعتبرها الأساس للفهم الصحيح.

إذا كان "شلايماخر" قد جعل الهيرمينوطيقا فلسفة تعنى بكيفية فهم النصوص وتأويلها، فإن "مارتن هيدغر" قد أدخلها في التقصي الفلسفي الوجودي ذاهبا إلى أن الفهم ليس مجرد بنية معرفية،إنما يشكل واحدة من البنيات الأساسية للوجود، مشيرا إلى أن النص لا يمكن النظر إليه على أنه تعبير ذاتي كما هو عند "دلتاي"، بل هو مشاركة في الحياة، إنه تجربة وجودية،فالعمل الفني قائم على التوتر الناشئ عن التعارض بين الظهور والانكشاف من جهة،و الاستتار والاختفاء من جهة أخرى.

فمصطلح دازاين (Dasein) (الوجود هنا) الذي هو من ابتكار مارتن هايدغر قد غيّر مسار الهرمنيوطيقا، حيث انتقلت من مبحث الابستمولوجيا الى اعتباره فرعاً من الأنطولوجيا العامة، أي أن فلسفته كانت على العكس من فلسفة شلايرماخر، وأدى هذا الأمر إلى تغيير السؤال من كيف نفهم؟ الى كيف نوجد؟

أصبحت عملية الفهم عند "هايدغر" مسألة أنطولوجية مرتبطة مباشرة بوجود الانسان، أي أن الإنسان قادر على إدراك ممكنات الوجود ضمن سياق العالم الحياتي الذي وجد فيه،إذ إن الفهم ليس شيئا نمتلكه بل هو شيء نكونه.فالفهم شكل من أشكال الوجود في العالم (Dasein)، وبهذا دحّض هايدغر فكرة الذات – الموضوع- التي كانت سائدة، وأكد على أن الذات بوجودها في العالم هو تفهم الموضوع، وليس هناك موضوع منفصل عن الذات، لأنه مسألة أنية.

وبالمقابل نجد "غادمير" يرفض ما ذهب إليه "شلايرماخر" من كون فهم النص يتم عبر الانسجام الروحي والنفسي مع المؤلف، أوإعادة معايشة العملية الذهنية للمؤلف، لهذا يختلف معه

في أن أساس الهيرمينوطيقا هو التوتر القائم بين الحاضر والماضي. وعليه فإن الفهم عنده لابد أن يجيب عما يقوله النص للحياة التي نعيشها.

ومن جهة أخرى يركز "غادمير" على النص المكتوب، لأن الكتابة تكسب اللغة ملكة الانفصال عن فعل تشكلها،و تكتسب روحيتها لحظة الكتابة،لأن الوعي المدرك قد بلغ كامل سيادته في مواجهة التراث، وفي الواقع إن كل مكتوب هو موضوعي تأويلي بامتياز. ويماثله في الاهتمام بالنص المكتوب "بول ريكور" الذي أكد على ضرورة تسمية كلمة نص على كل خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة.

إن الفرق بين تأويل "غادمير" و"ريكور" هو أن "غادمير" يرفض الوعي المنهجي الذي يخص الفهم والتفسير، الذي ذهب إليه "ديلثي" أو المنهجية التي تنتقل بالفهم من النصوص الخاصة والمحددة إلى تأويل كل النصوص،أما ريكور فهو ضد التأويلية Anti-hermèneutique، التي لا تعتقد في المعنى تماما، ذلك أن اهتمام ريكور منصب على إدراك المعنى، إذ يفترض أن العلامات والنصوص ترد دائما إلى نفسها، يعتمد على التحليل المتأني ليتبين أن النص يتحدث عن شيء، ومنه نرى اختلافا بين "غادامير" و"ريكور"، فالأول يتكلم عن تأويلية ظاهرية، والثاني عن ظواهرية تأويلية، والفرق كبير جدا بين الظواهرية والتأويلية.

وبشكل أكثر وضوحا وأكثر تحديدا فإن الهيرمينوطيقا عند ريكور تتميز عن هيرمينوطيقا ديلتاي من خلال أنها لم تُقم – كما فعل ديلتاي – تعارضاً قطبياً بين الفهم والتفسير. فعلى النقيض من ديلثي الذي يعتبر أنّ الفهم – لا التفسير – هو منهج العلوم الإنسانية، وأنّ التفسير – لا الفهم – هو منهج العلوم الطبيعية، فإنّ ريكور يؤكد على الترابط الوثيق بين الفهم والتأويل في كلٍ من الهيرمينوطيقا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، على حدٍ سواء. كما تتميز هيرمينوطيقا ريكور عن الهيرمينوطيقا الهايدغرية من خلال تأكيدها على أنّه لا يمكن للهيرمينوطيقا أن تقتصر على أن تكون أنطولوجيا للفهم؛ بل يجب عليها – بالإضافة إلى ذلك وقبله – أن تهتم بالأسئلة المنهجية والإبستيمولوجية. وإنّ انشغال هيرمينوطيقا ريكور بهذه الأسئلة هو ما يميز – أيضاً – هذه الهيرمينوطيقا عن هيرمينوطيقا غادامر.

على الرغم من تباين المنظورات الفكرية والفلسفية للهيرمينوطيقا،إلا أننا نرى أنها تتميز بحضورها في مستويات مختلفة:

أ- المستوى الديني: يتجلى من قراءة النصوص الدينية،و تأويل رموزها وعلاماتها اللغوية.

ب- المستوى الفلسفي:إذ يعتبر التأويل الفن الأرقى في الفلسفة،يجعلها تعود إلى تأويل ذاتها لتقرأ الشعور والعقل والوجود.

ج- المستوى التاريخي: يجمع المستوى الأول والثاني مع إضافة مستوى النشاط الإنساني العقلي، الذي يتفاعل مع التاريخ والواقع.

خاتمة:

إذا كان التأويل مفهوما قديما قدم النصوص نفسها دينية أو لغوية، وقدم بدء محاولات تفسيرها وشرحها من خلال مجموعة من القواعد والمعايير التي يتبعها المفسر،فإن الهيرمينوطيقا هي نظرية تأويل النصوص، أو هي العلم الذي يبحث في آليات الفهم، وقد بدأت في الفكر الغربي الحديث مع القرن السابع عشر عندما انفصلت عن مجال فهم النصوص الدينية، لتصبح علما مستقلا بذاته يناقش عمليات الفهم وآليات التأويل، بيد أن الهيرمينوطيقا مفهوما وفلسفة تطورت بعد ذلك، حيث امتدت تطبيقاتها إلى دوائر أكثر اتساعا شملت حقول العلوم الإنسانية كالتاريخ والأنطروبولوجيا، والنقد الأدبي.

وبهذا توصل بحثنا إلى النتائج الآتية:

- استطاع "شلايرماخر" أن ينقل ويخرج التأويل من إطاره الديني الذي يعنى بالنصوص الدينية المقدسة المكتوبة، إلى شمولية أعم أصبحت تعنى بكل النصوص،وقد تعامل مع النصوص المكتوبة تعاملا مميزا من منطلق أنه جعل للفهم مجابهة معرفية أو مشاكلة دلالية بينه وبين التأويل، موضحا أن التأويل معرفة باللغة، باعتبارها حاملا ماديا ووسيلة تواصل بين المبدع والمتلقي، فالنص إذا كان يحمل معارف متباينة، فذلك راجع إلى الوحدات اللغوية التي تحمل ذلك الإرث المعرفي في طياتها. لقد حرر "شلايرماخر" الهيرمينوطيقا من تبعيتها للعلوم الأخرى لتكون علما قائما بذاته يؤسس عملية الفهم.

- تختص الهيرمينوطيقا لدى "ديلثي" بالفهم، فمن خلاله ندرك تلك الحياة الذاتية التي تميز حامل التجربة، وهذا الفعل الإدراكي نستشف طريقه بالعمل الأدبي، فهو الذي يبني نسيج الحياة الداخلية، هذه الرؤية التي يتبناها "دلتاي" عبارة عن عملية يتواطأ فيها الإبداع والمتلقي معا على تجربة الحياة، وإن كانت هذه التجربة ذاتية عند المتلقي لكنها موضوعية في العملية الإبداعية. وعملية الفهم في هذا النطاق تقوم على مبدأ الحوار الكائن بين ذاتية المتلقي وموضوعية العمل الأدبي من خلال اللغة، فتتحول عملية الفهم من نطاقها العقلي (يعني فعلا إدراكيا عقليا) إلى فعل آخر يواجه الحياة ذاتها وبالتالي نستطيع أن ندرك حقيقة الفهم في العلوم الإنسانية.

- تمثل الهيرمينوطيقا عند "هيدغر" في ذلك الفهم،الذي ندركه من خلال تجلي الأشياء وظهورها في الوجود لا من خلال ما يقوله الوعي الإنساني، وفعل الإدراك والفهم لهذه الأشياء

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 2, Art. 5

الماثلة في الوجود لا يكون من الفراغ، إنما يأتي من منطلق التاريخ، ويتطور عبر حقب زمنية، لذا فإن عملية الفهم عملية دائمة في هذا الوجود. إن الفهم والوجود عند هيدغر شيء واحد، الأمر الذي جعل اللغة تبتعد أو تفقد ميزتها الإنسانية، وصارت بذلك تنظيما وجوديا للعالم والإنسان معا، ومن هذا المنطلق ينفصل العمل الفني عن صاحبه انفصالا تاما.

- لقد تحولت الهيرمينوطيقا مع "غادمير" إلى حلقة من الفهم والتفسير والتأويل والتطبيق، فكانت نشاطا كليا اتسع مجالها ليشمل ظاهرة تقوم على التفسير قصد إبعاد الغموض عنها، يعتبر التفسير شكلا من أشكال الفهم، فنحن نفسر لكي نفهم، أما التطبيق فهو ممارسة تأويلية في الحد ذاته. لقد انبنت عملية التأويل لدى "غادمير" على الكلي والجزئي، على الموضوعي والذاتي، وعلى الفهم والتفسير المتمركزين في الذات والتاريخ.

- انتقلت الهيرمينوطيقا على يد"بول ريكور"من كونها بنيت على أساس فلسفي لتصير "علم تفسير النصوص" أو "نظرية التفسير"، فقد ركز "يكور" على تفسير الرموز بوصفها وسيطا شفافا ينم عما وراءه، ومن ثم ينصب التفسير على النصوص اللغوية وتحليل المعطيات اللغوية للنص بهدف الكشف عن مستويات المعنى الباطني، وانتهى "ريكور" إلى ربط النص بالكاتب، ويؤكد في الوقت نفسه استقلال النص من حيث المعنى، ومهمة المؤول هي النفاذ إلى عالم النص وحل مستويات المعنى الكامن فيه، الظاهر والباطن، الحرفي والمجازي، المباشر وغير المباشر، وفي ذلك يتساوى عند "ريكور" من الوجهة الهيرمينوطيقية النصوص الأدبية والأساطير والأحلام، طالما تجسدت في رمز معبّر عنه باللغة،

فعملية التفسير عنده تقوم على شفرة المعنى الباطن من خلال المعنى الظاهر، وعلى كشف مستويات المعنى المتضمنة في المعنى الحرفي.

هكذا إذن انتقلت الهيرمينوطيقا إلى البحث في آليات النص وتلقيه من خلال مجموعة من الأطر الاجتماعية والثقافية والحضارية التي أنتجت النص، إذ لا معنى له إلا بواسطة القراءة. فالقراء الأكفاء هم الذين يمنحون النصوص معاني متجددة، والنص اليوم أصبح فضاء وليس وثيقة، إنه لغز ينطوي على التاريخ والاجتماع والسياسة وعلم النفس.ومهما يكن من أمر فإن للنص دائما سلطة وللتأويل حدودا.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5

الهوامش

1- ينظر عادل مصطف، مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادمير، الطبعة الأولى القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2007، ص34.

2- المرجع نفسه، ص19

3- ينظر المرجع نفسه، ص 129.

4 - Voir, Jean Gondin, L'universalité de l'hérmeneutique, paris, puf: p11

* فريدريك شلايرماخر: ولد الفيلسوف الألماني فريدريك دانييل شلايرماخر بفروك لاف (سليزيا) في 21 نوفمبر1768، درس في جامعة هال 1787-1789، رسّم قسا ثم عين واعضا مساعدا سنة 1794، ثم مرشدا روحيا 1796 في مستشفى المحبة ببرلين، له مؤلفات عدّة منها:تاب الجدل 1830، الأخلاق الفلسفية، دروس في علم الجمال. توفي ببرلين في 12 فيفري 1834.

5- Voir, Friedrich Shleimacher, Herméneutique, tra et intro.d.mariam Simon laborret fudes1987, p111.

6- بول ريكور(2003)، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص52.

7- Voir, Jacque Bouveresse, Herméneutique et l'linguistique, p39.

8 - Voir, J.Bleicher Contemproy Herméneutique, Rout ledge, and Kegan Paul, London, 1980, p11.

9- دايفيد جاسبر، مقدمة في الهيرمينوطيقا، الطبعة الأولى،بيروت: الدار العربية للعلوم،2007، ص119.

** ويلهلم ديلثي: ولد 1833، في ألمانيا من أسرة دينية، درس اللاهوت والفلسفة في جامعتي هايدنبرغ وبرلين، وهو فيلسوف وناقد، تأثر بشلايرماخر، وأطلق على أعماله اسم فلسفة الحياة، توفي في أكتوبر 1911.

10- ينظر، دايفيد جاسبر، مقدمة في الهيرمينوطيقا، ص 33.

11- نصر حامد أبو زيد،إشكاليات القراءة وآليات التأويل، الطبعة الأولى،بيروت: المركز الثقافي العربي،1992 ص26.

*** مارتن هيدغر: فيلسوف ألماني ولد في 26 سبتمبر1889 جنوب ألمانيا، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف أستاذه هوسرل مؤسس الظاهرتية، صار أستاذا في هذه الجامعة عام 1928، وكان الهدف الأساسي الفلسفي هو معرفة حقيقة الوجود، من أهم مؤلفاته:الوجود والزمان، ودروب موصده توفي في 26 ماي 1976.

♦ يستعمل "هيدغر" كلمة الوجود بمعناها الكلي الأفلاطوني، أي بمعنى وجود الموجود، لا بمعناها الأرسطي، أي بمعنى الموجود بما هو موجود.

12- Voir, M, Heidegger, Being and Tim, Harper and Roux, New.york 1962, op.cit, p20.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 2, Art. 5

13- ينظر إبراهيم أحمد، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر،بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008،ص65.

14- ينظر المرجع نفسه، ص66.

15- المرجع نفسه، ص 42.

16- ينظر روبرت هوليت، نظرية التلقي، مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل الطبعة الأولى،جدة:كتاب النادي الأدبي الثقافي،1994، ص 121-122.

17- ينظر غادمير،طرق هيدغر، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، الطبعة الأولى،بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة،2007، ص 179.

**** هانز جورج غادمير: من أهم فلاسفة الألمان المحدثين، ولد سنة 1900، درس في جامعة لايبيزجLeipzig ثم في جامعة فرانكفورت، وفي سنة 1949 شغل كرسي الفلسفة في جامعة هايدلبرج Heidelberg خلفا لكارل ياسبرس. وقد شكل مفهوم التأويل أو التأويلية نقطة محورية في إسهامه الفلسفي نتج عنها فيما بعد إسقاطات هامة في مجالات معرفية متعددة كالعلوم الإنسانية والنقد الأدبي، حصل على الدكتوراه المؤهلة للتدريس باشراف هيدغر، من مؤلفاته: الحقيقة والمنهج، الأخلاق الديناليكيتية عند أفلاطون، توفي 2002.

18- Voir, Hans Georg Gadamer, verité et methode, traduit par Etienne sacre, paris, ed, seuil,1976 , p110.

19- نصر أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل،ص38.

20- ينظر، هانز جورج غادمير،طرق هيدغر، ص 52.

21- غادمير، فلسفة التأويل، الأصول المبادئ، الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، الطبعة الثانية، الجزائر:منشورات الاختلاف،2006، ص 99-100.

***** بول ريكور: من أبرز الفلاسفة الفرنسيين الذين طوروا الفينومينولوجيا والتأويلية في حقل العلوم الاجتماعية، ولد في 27 فيفري سنة 1913، ب valence، خلال حياته مرّ بمحطات رئيسية رسمت معالم فلسفته وحددت قاعدتها المنهجية وأفقها النظري، لقد اهتم ريكور بمجموعة من المفاهيم الفلسفية والأدبية تحليلا ومناقشة، منها: المعنى، الذاتية، التخييل، التاريخ، الأدب، الاستعارة، الذاكرة... من أهم مؤلفاته: فلسفة الإرادة، التاريخ والحقيقة، الفهم بحث حول فرويد، صراع التأويلات، من النص إلى الفعل، توفي في 20 ماي 2005.

22- بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص 55.

23- المرجع نفسه، ص 56.

24- المرجع نفسه، ص 143-144.

25- بول ريكور،صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، تر: منذر عياشي، الطبعة الأولى،بيروت:دار الكتاب الجديدة، (دت) ص 44.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss2/5 20

المصادر والمراجع:

أحمد، إبراهيم. (2008). **أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر**. ط1. الجزائر: الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف.

جاسبر، دايفيد. (2007). **مقدمة في الهيرمينوطيقا**. ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم.

ريكور، بول. (د.ت). **صراع التأويلات**، دراسات هيرمينوطيقية، تر: منذر عياشي. ط1: بيروت: دار الكتاب الجديدة.

ريكور، بول. (2003). **نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى**، تر: سعيد الغانمي. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي.

أبو زيد، نصر حامد. (1992). **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي.

غادمير، هانز جورج. (2007). **طرق هيدغر**. تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

مصطفى، عادل. (2007). **مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادمير**. ط1. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

هانز، جورج. (2006). **فلسفة التأويل، الأصول المبادئ**، الأهداف، تر: محمد شوقي الزين. ط2. الجزائر: منشورات الاختلاف.

هوليت، روبرت. (1994). **نظرية التلقي، مقدمة نقدية**. تر: عز الدين إسماعيل. ط1. جدة: كتاب النادي الأدبي الثقافي.

المراجع الأنجنبية

Bleicher, *Contemproy Herméneutique*, Rout ledge, and Kegan Paul. London. 1980.

Gadamer, Hans Georg. *verite et methode*. paris. Seui.

Gondin, Jean. *L'universalité de l'hérmeneutique*. paris. Puf.

Heidegger, M. Being and Tim. Harper and Roux, New York. 1962 op cit.

Shleimacher, Friedrich, *Herméneutique tra et intro*. d. mariam Simon labourent fudes.

List of Sources and References:

Abu Zeid, Nasr Hamed. *Problems of reading and interpretation mechanisms*, i1.Beirut: Arab Cultural Center, 1992.

Ahmed, Ibrahim. *Language Anthropology at Martin Heidegger*. t1. Algeria: Arab House of Sciences Publications of Difference, 2008.

Bleicher, *Contemproy Herméneutique*, Rout ledge, and Kegan Paul. London. 1980

Gadamer, Hans Georg. *verite et methode*. paris. Seui.

Gondin, Jean. *L'universalité de l'hérmeneutique*. paris. Puf.

Heidegger, M., *Being and Tim*. Harper and Roux, New.york. 1962 op cit.

Jasper, David. *Introduction to Herminota*. i.t. Beirut: Arab House of Science 2007.

Recur, Pol. *Conflict of Interpretations, Herminottic Studies*, Ter: Munther Ayachi.i1: Beirut: The New House of The Book.

Recur Pool. The theory of interpretation, discourse and the excess meaning, t: Said al-Ghanimi.i.beirut: Arab Cultural Center, 2003.

Hans, George. *Philosophy of Interpretation, Principles, Goals*, T: Mohamed Shawky Zein. t2. Algeria: Publications of Difference, 2006.

Gadmeier, Hans-George, *Heidegger Roads*. Ter: Hassan Nazim and Ali Hakim Saleh.t.Beirut: The New House of The Book United, 2007.

Mustafa, Adel, *Introduction to Herminotta*, Theory of Interpretation from Plato to Gadmeier.t. Cairo: A Vision for Publishing and Distribution, 2007.

Robert Howlett, *The Theory of Receiving*, *Critical Introduction*. Ter: Ezzedine Ismail. 1. Jeddah: Cultural Literary Club Book, 1994

Shleimacher, Friedrich , *Herméneutique tra et intro*. d. mariam Simon labourent fudes.